محب الدين الخطيب[1] وقضايا المغرب العربي 1929 ـ 1958

أ . حسين محمد الشريف*

توطئة :

تعرضت بلاد المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى هجمة استعمارية شرسة مثلها في ذلك مثل بقية المناطق الأخرى المتواجدة في آسيا وإفريقيا ، فكانت برمتها محل أطماع وتنافس بين الدول الاستعمارية الأوربية الكبرى ، فكان الاحتلال الفرنسي للجزائر في سنة 1830م الذي جعلها جزءا لا يتجزأ منه وعمل على طمس معالمها العربية الإسلامية وتشويه تاريخها البعيد والقريب ظنا منه أنه بذلك تحولها فرنسية خالصة لها إلى الأبد .

ولم يسكت الجزائريون بل قاموا بثورات متتالية رافضين الهيمنة الفرنسية وسياسة الانسلاخ عن الذات .

ولم تكتف فرنسا بذلك بل صوبت أنظارها نحو تونس باعتبارها مكملة للجزائر ولما تزخر به من إمكانات طبيعية هائلة وموقع استراتيجي هام فبدأت تحيك المؤامرات والدسائس وتختلق الأعذار لبسط نفوذها حتى فرضت الحماية عليها سنة 1881م ، بعد أن مهدت لذلك بعدوان عسكري فظيع برا وبحرا .

ولم تشبع ـ وكيف للاستعمار أن يشبع ـ فاتجهت بأنظارها من جديد صوب المغرب الأقصى لنفس الأسباب وبنفس الذرائع فدخلت في صراع مع منافسيها الاستعماريين (إنجلترا ، إيطاليا ، ألمانيا ، إسبانيا) كل منها يريد المغرب الأقصى له متذرعا بمختلف الحجج ولم تظفر فرنسا إلا بعد لجوئها إلى الاتفاقيات السرية (ما عرف باتفاقيات اللصوص) التي عقدتها على انفراد مع منافسيها كل على حدة .

وبعد هذه الاتفاقيات خلا لها الجو ولم يبق لها من منافس عنيد إلا ألمانيا التي تخلصت منها فيما بعد عن طريق بعض التنازلات وبذلك صار المغرب الأقصى لقمة سائغة لها وفرضت عليه الحماية سنة 1912م رفقة حليفتها إسبانيا .

أما ليبيا فقد كانت من نصيب إيطاليا بموجب الاتفاقيات الآنفة الذكر ودخل

---

* قسم التاريخ ، كلية الأداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة .

الإيطاليون إليها دون مقاومة فعالة من الدولة العثمانية عام1911 (2).

وهكذا ابتليت البلاد المغاربية باستعمار أوربي لاتيني هدفه استغلال الأرض والثروات واستعباد الإنسان وتحطيم معالمه الحضارية والسير به وإعادته إلى الحظيرة المسيحية اللاتينية كما كان إبان الاستعمار الروماني .

فالاستعمار الأوربي لبلاد المغرب العربي لم يكن ذا أطماع اقتصادية فحسب ولكنه كان أيضا استعمارا استيطانيا وحضاريا خاصة في القطرين الجزائري والليبي ، ولكي تتم السيطرة الفعلية لهاتين الدولتين الاستعماريتين ـ فرنسا وإيطاليا ـ على بلاد المغرب استعملتا كل وسائل القمع والإبادة .

وأمام هذا الخطر لم ينس المشارقة إخوانهم في بلاد المغرب العربي فتألموا لآلامهم وتقصوا أخبارهم وتابعوا كل ما يجري من تنكيل وقمع ومن ثورات وانتفاضات وعملوا على فضح جرائم الاستعمار عبر صحفهم وجرائدهم وندواتهم وملتقياتهم واجتماعاتهم وفتحوا الأبواب أمام أحرار هذه البلدان والهاربين من بطش الاستعمار وإن كان حال المشرق لا يختلف كثيرا عن حال المغرب .

ومن الصحف التي اهتمت بما يجري في بلاد المغرب وعملت على نشره في نطاق واسع صحيفة (الفتح) الغراء لصاحبها محب الدين الخطيب ، فكان رحمه الله تعالى لا يترك صغيرة ولا كبيرة ـ علم بها ـ إلا ونشرها في صحيفته ولم يقف عند هذا بل علق على كل حادثة أو خطوة استعمارية ، وقدم النصح ودعا الأمة لتقديم العون والمساعدة (3).

أضواء الخطيب على ما يجري في تونس :

نستطيع القول بأنه كان الوحيد تقريبا الذي ينقل لقرائه ما يجري من أحداث ووقائع في المغرب العربي ويدافع عن قضاياه ويبارك نضاله ، ولعل ابن باديس كان محقا عندما قال معاتبا إخوانه المشارقة : « . . .مضت حقبة من الدهر كاد فيها الشرق العربي أن ينسى فيها هذا المغرب العربي . . . » (4).

فالخطيب كان على اتصال يكاد يكون دائما بالعديد من زعماء المغرب العربي وعلمائه ولاسيما في الجزائر ، وكان ينشر كل ما يرده من أخبار وأحداث أولا بأول ولهذا كان المسلمون على معرفة وإلمام بما يجري على الساحة المغاربية ويتتبعون أخبار إخوانهم مسترشدين بصحيفة « الفتح » التي كانت منارة تنشر ضياءها في كل اتجاه .

وإذا كانت الصحف المصرية الأخرى قد قصرت في هذا المضمار فذلك لأنها كانت تهتم بالأحداث الوطنية ونشر إعلانات الإشهار وما يدغدغ عواطف

الشباب من أفكار غربية يجلب لها الربح ، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الفكر القومي كان حديث العهد والطرح في مصر ، ولربما كان لسقوط الخلافة العثمانية الإسلامية وانتكاسة ديمومتها الأثر الكبير الذي كان يدعوه إلى تناول قضايا بلاد الإسلام وعلى رأسها البلاد العربية مشرقا ومغربا حتى أنه كان شديد الحرص على متابعة أخبار ما تقوم به فرنسا في المغرب العربي .

ومما هز الخطيب ووجدانه الحوادث الخطيرة التي شهدتها بلاد المغرب العربي عام 1930م أولاها الذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر وصدور ما يسمى الظهير البربري في المغرب الأقصى لإحداث القطيعة بين الإخوة من عرب وبربر وثالثها المؤتمر الكاثوليكي الأفخارستي[5] في قرطاج بتونس والذي اعتبره نكسة كبرى أكبر من نكسة الأندلس بالنظر لقبول شيخ الإسلام ومفتي البلاد ترأس اللجنة الشرفية لهذا المؤتمر الصليبي المعلن بالاشتراك مع من يسمون وجهاء البلاد وأعيانها[6] الذين وقعوا في شراك مصيدة الحماية الفرنسية وخداعها وهنا نجد الخطيب يبذل قصارى جهده لمعرفة حقيقة ما وقع وجرى ويطالع جريدة (لسان الشعب) و(جريدة النهضة) التونسيتين ليستجلي ما إذا كان المفتي وشيخ الإسلام قد شاركا حقا في هذه الكارثة ، غير أنه لم يجد أي تكذيب لهذه المشاركة التي أعلنتها جريدة « La Tunisie Française » فكتب يقول : « فلما اطلعنا على كل ذلك من خلال جريدة لسان الشعب « الصادرة يوم آخر أبريل 1930م كتبنا افتتاحية العدد الماضي بقلم مغموس بدم الحزن الذي يقطر من فؤاد المسلم » ، وعبّر عن أمله بأن يكون الخبر كاذبا وعاريا عن الصحة [7]، وتواترت إليه الأخبار عن موقف الشارع التونسي وكيف ثار طلبة المدارس الثانوية احتجاجا على المؤتمر والمشاركين فيه وما تبع ذلك من مصادمات بينهم وبين الشرطة الفرنسية التي احتجزت 25 طالبا وأدخلتهم السجن ولم يطلق سراحهم إلا في مناسبة عيد الأضحى وكيف أن السلطة الاستعمارية قد أوعزت إلى الصحف العربية والفرنسية بأن لا تشير إلى شيء مما وقع وحصل ورغم ذلك فقد وصل إلى الخطيب الكثير من التفاصيل التي نشرها فكان لها صداها الكبير في مصر والخارج [8].

ومما قاله في هذا الشأن : « . . . إن قبول شيخ الإسلام ومفتي البلاد ترأس اللجنة الشرفية للمؤتمر الكاثوليكي الأفخارستي تتصدع له جبال تونس وتنشق أرضها وتستعر أمواج بحرها بصواعق النار فتحرق الأخضر واليابس ، [9] ذلك أن هذه بداية لخطوة تالية هدفها اصطباغ البلاد بالصبغة المسيحية » .

وصدق تنبؤ الخطيب فيما كان يراه فيها هو تمثال الكاردينال (لافيجري)

(10) أصبح على باب عاصمة تونس شاهرا صليبه ورافعه فوق رؤوس المارة الأمر الذي تبعته تظاهرات احتجاج واعتقالات وصدامات بين الشرطة والشعب تلاها منع جريدة (مرشد الأمة) عن الصدور .

وكتب الخطيب مقولة وزير خارجية فرنسا في البرلمان تأييدا للحملة النصرانية الصليبية في تونس والجزائر والمغرب الأقصى : « إن فرنسا غير متدينة داخل فرنسا ، وأنها متدينة في الخارج » .

وأن الهدف هو تنصير المسلمين تحت شعارات براقة وأعمال خيرية كإسعاف البائسين وكفالة أبنائهم في مدارس التبشير (11).

ولم يتوقف رد الخطيب على مثل هذا المؤتمر بل شجب وبكل صلابة وجود الاستعمار الفرنسي في تونس وفسح المجال لكل أحرارها(12) كي يعبّروا من خلال صحيفته عن رفضهم لكل ما يحيكه المستعمرون من مؤامرات وما يبغونه من تغيير وتضليل ، فها هو يسارع إلى الكشف عن مؤامرة أخرى هدفها مسخ الشخصية التونسية عن طريق التجنس بالجنسية الفرنسية لفسح المجال أمام تكوين إمبراطورية فرنسية تشمل بلاد الشمال الإفريقي العربية بعد توحيدها لجعلها قطرا واحدا يسكنه رعايا فرنسيون شريعتهم القانون الفرنسي ولغتهم اللغة الفرنسية ، وهذا يعني تحويل المسلمين المغاربة عن أحكام شريعتهم بدءا بالأحوال الشخصية وانتهاء بالقانون المدني(13) .

ويشير الخطيب إلى أخبار المظاهرات وانفجار أعمال العنف احتجاجا على هذا القانون المشين وأن علماء الإفتاء وعلى رأسهم الشيخ (أحمد عياد) والشيخ (التهامي عمّار) قد حكموا وأفتوا بردة المتجنس ، وذكر امتناع المسلمين عن صلاة الجنازة على أحد المتجنسين ورفضهم قبوله في مقبرتهم ، وأن الحزب الدستوري التونسي(14) هو الآخر كان لقانون الجنسية بالمرصاد فثار مؤيدوه وانطلقت حناجرهم بعبارات الاحتجاج والرفض ، وأشار إلى أخبار المظاهرات وانفجار العنف والمشادات بين المتظاهرين والجنود والدرك ، ولم يفته التنويه بأن اليهود كانوا هم السباقين إلى التجنس بالجنسية الفرنسية وهذا وفق ما عرف عنهم من نفاق .

فالمتتبع لتاريخ اليهود منذ قديم الأزل وحتى اليوم يجد النفاق من أخلاقهم فموقفهم مع الأنبياء غارق في النفاق يتقلبون ولا يستقرون ، حتى أن أحد العلماء الأجلاء في مصر كشف بعدما راجع السور المكية والمدنية كلها عن أن خلق النفاق وذكره في القرآن الكريم لم يرد في السور المكية وإنما جاء في السور المدنية كلها أين كان يهود خيبر يعيشون ويدسون الدسائس على النبي العربي

محمد ، كما أن المطالع لتاريخ الفتح العربي للأندلس يكتشف حقيقة تلون اليهود إذ كانوا السباقين إلى المسلمين ومساعدتهم على ضرب الإسبان في مكامن قوتهم ، على أنهم قد أدوا الدور نفسه بعد انهيار الحكم الأندلسي وقدّما للإسبان كل المعلومات عن العرب ومناطق حشودهم ووجودهم وكذلك الحال في الجزائر فلقد كانوا أول من تهافت على الجنسية الفرنسية عام 1870م مخالفين في ذلك قواعد المعايشة التي كانت تجمعهم بالمسلمين طيلة قرون .

وهكذا نجد الخطيب يسارع إلى مطالعة الصحف الفرنسية والمغاربية ويراسل أهل الثقة والفكر والنضال مستجليا حقيقة ما يجري ثم يتناول ذلك بالتحليل والدراسة وصولا إلى كشف الأستار عما يقع مهددا الفرنسيين بسوء العواقب ، فاضحا أساليبهم معريا سوء نواياهم محذرا إخوانه ، حاشدا لهم التأييد حتى بات ما يكتبه يحسب له الفرنسيون كل حساب .

موقفه من الاستعمار الإيطالي في ليبيا :

لم يقتصر الخطيب في مخاطبته لأبناء ليبيا على وصف ما يجري فيها بل تعدى ذلك إلى دعوتهم إلى الجهاد ضد مستعمريهم وبدأ بهذه الدعوة منذ كان يعمل في صحيفة المؤيد عام 1911م وأدى واجبه الإسلامي والقومي على نحو جعل أبناء مصر يرقبون ما يجري ويقع ويتتبعون الأخبار الواحدة تلو الأخرى كما شرعوا بجمع التبرعات مناصرة منهم لإخوانهم مجاهدي طرابلس الغرب .

وعندما أسس صحيفة (الفتح) تابع كتاباته وتحقيقاته إدراكا منه بأن واجبه الديني والقومي يدفعانه ويحتمان عليه أن يناصر كل قضايا أمته أينما كانت ، هذا ولاسيما أنه ذلك الرجل السياسي العربي المسلم الذي جعل الجهاد في صحيفته سبيلا إلى توعية الشعوب العربية والإسلامية ومناصرة جميع قضاياهما .

فنجده يدعو أحرار البلاد بان يبادروا إلى تنظيم صفوفهم وبأن لا يبخلوا بأرواحهم وأموالهم للمحافظة على أرض الآباء والأجداد وأن لا ينتظروا قرع أجراس الخطر حول خيامهم ويذكرهم بأنهم ولو قل عددهم فسيجدون من إخوانهم العرب من يحارب إلى جانبهم (15).

والخطيب في مخاطبته إنما يهدف إلى شحذ الهمم وجمع الصفوف لأن الاتحاد قوة وليعلم الليبيين أنهم ليسوا لوحدهم في هذا الجهاد بل من ورائهم أمة برمتها تتابع جهادهم وتفخر بنضالهم وتعتز بانتصاراتهم ومن قبل هذا وبعده ﴿**وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم**﴾(16) .

ومن الجدير بالذكر أنه كان يكتب مقالاته ويدعو إلى الجهاد مع أنه في

مصر التي هي الأخرى تحت نير الاستعمار البريطاني ورغم هذا لم يتوان عن مطالبة الحكومة المصرية بدعم الجهاد الليبي وتحذير المصريين من خطر الاستعمار الإيطالي الذي هو على أبواب مصر الغربية حيث سينتهي الأمر إلى مجاورة دولة جديدة مسيحية غربية بعد أن كانت تجاور دولة عربية مسلمة ، فنقع في مثل ما وقعت فيه فلسطين مع المستعمرات الصهيونية ، وينتهي إلى القول : « والذي لا يرى الشيء الذي سيصير إلا بعد أن يصير فهو من أهل الغفلة وأهل الغفلة لا يستحقون الحياة . . . » (17).

ومع علمه بأن إيطاليا لن تجرأ على القيام بمثل ما ذكره هو فإنه كان يهدف إلى دفع المصريين لمناصرة إخوانهم والتبرع لهم بالمال والسلاح وحتى المشاركة في الجهاد إذا لزم الأمر وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ذكائه وحنكته في التعامل مع القضايا المصيرية ودفع المشاعر والعواطف إلى مواقف يريدها ويحقق فيها ما يهدف إليه .

ويصف ما يفعله الإيطاليون الغزاة فيقول : « . . . في كل سنة يتم إنزال عشرين ألف إيطالي في طرابلس الغرب فتتحول الأرض التي يتناسلون فيها من أرض إسلامية عربية إلى أرض إيطالية كاثوليكية ، فكما أن إيطاليا لا ترضى أن يقع عليها مثل ذلك في أي بقعة من بقاع وطنها من أية أمة من الأمم المتحالفة معها ، كذلك لا يرضى المسلمون أن يقع ذلك في وطن لا شك أنه وطن إسلامي ومن صميم العالم الإسلامي . . . » (18).

من يطالع مقالات الخطيب حول ليبيا يتوصل إلى نتيجة يظهر فيها الخطيب كأنه المحامي المفوض من طرف إخوانه أهل البلاد معتبرا التشابه بين ما فعلته الصهيونية وحكام إنجلترا في أرض فلسطين وما يفعل الماريشال (بالبو) في ليبيا جريمتين لا تختلف إحداهما عن الأخرى ما دام الطليان قد أنزلوا عشرين ألف إيطالي على أرضها وينوون الاستمرار في هذه السياسة لكي تصبح أخيرا أرضا إيطالية (19).

وفي منظوره ودفاعه يعتبر كل أرض عربية أرضا إسلامية والاعتداء عليها هو اعتداء صليبي على العرب والمسلمين محاولا جر الماريشال « بالبو « إلى الاعتراف بحق الطرابلسيين في الاستنكار وتأسيس فرع لجمعية الشبان المسلمين وإصدار صحيفة عربية كما هو الشأن في الجزائر التي يعتبر استعمارها أبشع استعمار وأفضحه في الدنيا ، ومع ذلك فإن صحفا عربية تصل الخطيب من الجزائر ، ويحتج على تصرف الماريشال بالبو واحتقاره الفضيع للمحاكم والقضاة

الشرعيين في طرابلس وبرقة ويطالبه بأن لا يكون القاضي الشرعي تحت الحكم الإيطالي أدنى منزلة من منزلة المأذون لعقود الزواج والطلاق في مصر (20).

وكسياسي محنك يحاول إغراء الماريشال بالبو فإنه يعطي لدولته الحق أن تستفيد من تلك البلاد سياسيا واقتصاديا بشرط ألا تعبث بما عليه طرابلس الغرب من صبغة إسلامية وعربية وبأن لا يفعل الإيطاليون فيها ما يسوؤهم أن يفعله غيرهم في بلادهم ويترك الباب مفتوحا للماريشال بأن يجيب على مقالته بالقبول أو الرفض علنا .

ويلاحظ على الخطيب دهاؤه في التعامل مع جلافة وصلابة الاستعمار الإيطالي في حرصه الشديد على إبقاء الصبغة العربية الإسلامية في طرابلس الغرب وبقاء البلاد على هاتين الصبغتين اعتراف ضمني بعروبة الأرض وإسلاميتها وفي هذا ضمان لوجود المقاومة واستمراريتها وإيمانا منه بأن لا دوام للاستعمار ولا بقاء أبدي .

يذكر الخطيب بكل إيمان أنه ليس متشائما ولا يائسا مما هو عليه الحال في ليبيا لأسباب كثيرة استمدها من تجربة العراق وسورية اللتين خرجتا من تحت الحكم العثماني واستأنفتا النضال ضد التخلف والاستعمار ومادام الدم الذي يجري في عروق عرب سورية والعراق هو نفس الدم الذي يجري في عروق إخوانهم الليبيين فإن الشعب الليبي لابد له من صحوة تعيد إليه أرضه وحريته واستقلاله وكما أن جميع الأقطار العربية في آسيا صارت الآن تعلم غايتها وتؤمن بها وتثق أنها قادرة على البقاء ولابد أن يقتدي الليبيون بالمشارقة في نفض غبار الذل والخضوع للأجنبي مستعيدين الكرامة والأرض والوطن (21).

وحرصا من الخطيب على أن لا تتكرر مثل هذه التجربة المخزية (الاستعمار الإيطالي) فإنه يدعو إخوانه العرب والمسلمين عامة والليبيين خاصة إلى رسم خطة لتكوين جيل المستقبل على أساس من المعارف القومية والآداب الإسلامية لان ذلك ضمان لعروبة البلاد وإسلاميتها مادام في الإسلام كنوز من المفاخر والمعجزات التي تكفي المعجزة الواحدة منها أن تجعل الضعيف رجلا وتخلق من الإنسان بطلا (22).

ومما خاطب به الليبيين قوله : « أشهد بالله أن في طرابلس الغرب أمة مسلمة تساق إلى الفناء . . . فطرابلس الغرب فتحت أبوابها للفلاحين والعمال الإيطاليين ومن أمامهم حراب الجيش وسياط الإدارة تطارد محمدا وعليا وغيرهما من العرب لتحل في أرضهم وتربة أجدادهم جيوفاتي وستينلي ، وأنطونيو ، ومن لم يعجبه فليخرج عن أوطانه الخضراء إلى رمال الصحراء أو ليعش في مذلة العبودية » (23).

وعندما قامت إيطاليا بمجزرتها الشنيعة في بلدة (الكفرة) عام 1931م بواسطة طائراتها التي خرّبت ودمرت وألقت بجثث الستة عشر مجاهدا ، تألم الخطيب لذلك ونقل آلامه وآهاته ووعيده وإنذاراته عبر صحيفته في مقال عنوانه « سياسة الإفناء والاستئصال » [24] متحدثا عن وحشية الإيطاليين وهمجيتهم محذرا إياهم من عواقب كل ذلك حاثا المسلمين جميعا على نصرة إخوانهم الطرابلسيين وفضح همجية الإيطاليين في صحف الشرق والغرب ، وينهي مخاطبته لأبناء ليبيا بتحذيرهم من أن ينتهي بهم الحال إلى الاستسلام حتى يغلب على ظن الأوربيين بأنه قد آل المصير إلى فناء الشعب أو رضوخه التام إلى الغزاة المعتدين .

وفي مقال تحت عنوان « حقوق عرب طرابلس الغرب » أتاح الخطيب للسيد محمد شارف الإدريسي أحد أبناء ليبيا الكرام التصدي عبر الفتح لتصريح (موسوليني) [25] واعترافه بحقوق طرابلس (الوهمية) ـ على حد قول الإدريسي ـ مبينا بالحجة زيف تلك الحقوق وأنها ذر الرماد في العيون . (. . . فالجدير بالدوتشه أن يتبع الحقائق ويترك السياسة المزيفة المموهة بألفاظ عذبة لا أساس لها ولا تجدي نفعا ولن تجلب إليه قلب أي عربي ، فإننا أقوام لا نلتفت إلى القول وإنما إلى العمل . . .) [26].

المغرب الأقصى :

عملت صحيفة (الفتح) في مختلف أعدادها على إبراز أخبار المغرب الأقصى في صراعه وجهاد أبنائه مع المحتلين الفرنسيين وسياستهم الجهنمية تجاه هذا القطر من أقطار الأمة العربية ، وإذا كانت الحكمة العربية تقول : الخير فيما شهد به الأعداء ، فقد نقل الخطيب إلى قرائه عبر صحيفة (الفتح) ما قاله الجنرال (ليوتي) [27] في تقريره السري الذي رفعه من المغرب الأقصى إلى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 3 ديسمبر 1920م (أي بعد ثمان سنوات من فرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى) ، حيث قال : « . . . لسنا هنا أمام الفلاح المصري الوديع ولا أمام التونسي القليل النشاط ، ولا أمام الجزائري الخاضع منذ قرون لسلطات متعددة ، الموزع قطعا ، الفاقد لعناصر المقاومة الطبيعية ، فقد وجدنا هنا حقيقة (دولة) و(شعبا) . . . وعامة هذا الشعب سليمة من الجمود المعتاد عند مسلمي الشرق ، فهي عاملة ، نشيطة ، ضامنة إلى المعرفة ، قابلة للتجديد ، متمسكة بالأرض والملكية والفلاحة ، فالأمر ليس أمر سكان ابتدائيين متوحشين عاجزين ، بل إن الشعب المغربي هو أكبر شعوب الشمال الإفريقي استعداد وقابلية للتجديد ولا يوجد بلد يدفع فيه ثمن الجهالات والمناورات الفاسدة بسرعة وبغلاء مثل المغرب . . . » [28].

ويعلق عليه الخطيب قائلا : « ومع أن الجنرال أكبر منفذ لسياسة الجهالات والمناورات الفاسدة في المغرب قد خلص ذمته تجاه كل من يحاول أن يكتب ترجمة حياته للتاريخ بأنه كان النذير العريان لدولة طماعة يوشك أن تحفر قبرها في هذه الزاوية (أي المغرب) ، وأن تجربة الجنس الساكسوني في الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وجنوب إفريقيا قد نجحت فلأنها كانت تجاه سكان ابتدائيين متوحشين عاجزين ، أما مسلمو الشمال الإفريقي فإن محمدا بن عبد الله ﷺ قد نور قلوبهم وعقولهم بالقرآن وسلحهم بالاستعداد العظيم لمقاومة الصراع ، أمة عاملة ، نشيطة ، ضامنة لمعرفة ، قابلة للتجديد ، متمسكة بالأرض والملكية والفلاحة » (29).

وإن التجاهر الأحمق من دولة الاستعمار بإعلان الظهير البربري سنة 1930م قد أيقظ من المسلمين من كان نائما ودفع في طريق المقاومة كل من كان مسالما ، وإن فرنسا بهذه السياسة قد عجلت بيقظة المغاربة الذين هبوا يدافعون عن جامعهم وكلما ازدادوا يقظة ازداد العالم الإسلامي تعلقا بقضيتهم وعطفا عليها وتعاونا معهم فيها (30).

ويردف الخطيب قائلا : (إن المغرب الأقصى اليوم في حالة ثورة مخيفة لا لأنها قائمة على سفك الدماء واستعمال السلاح والبنادق فهذا النوع من الثورة سرعان ما يخبو وتنطفئ ناره ولكن هذه الثورة مخيفة لأنها قائمة على التمرد على الباطل والاستعداد لمصارعة البغي ، واضطغان الحقد والبغضاء والتشنيع والمقاطعة . . .) (31).

ويذكر ما شهدته القاهرة حين تردد فيها صدى (الثورة المغربية) على سياسة الظهير البربري المشؤوم إذ كان فيها كل مصري مغربيا ، وصار المسلمون يعرفون الإساءة والإحسان وسيجازون على كل منهما بقدر ما يستحق ، وإن بغضاء تجمع عليها أفئدة 400 مليون مسلم لا يستطيع أن يستخف بها ويستهين بنتائجها أحد ولا الشيطان (32).

وفي هذا السياق كتب مقالا حول تنازل جلالة ملك المغرب الأقصى للحكومة الفرنسية عن حق التدخل في شؤون البربر الدينية قائلا : « . . . ويؤكد المغاربة أن الظهير السلطاني لم يصدر بالطرق المشروعة المعتاد صدور أمثاله بها وإنما نظمت مواده وكتب في الإدارة الفرنسية ثم دفع إلى رئيس الوزراء . . . فذيله بطابع الجناب الشريف ، لأن الطابع السلطاني كان تحت يد رئيس الوزراء ولم يستعمله جلالته منذ تولي العرش . . . » (33).

ويحذر المغاربة بان البداية كانت بالبربر وستنتهي بالعرب المغاربة ، وأن

إنشاء المدارس في أوساط البربر خالية من كل ما يذكرهم بالعربية والإسلام وتلقينهم مبادئ الفرنسية والدروس المسيحية مع تمجيدها وتأليه فرنسا مع التنقيص من كرامة المسلمين ، وقبل هذا كله الشروع بإقفال كل الكتاتيب المنتشرة وسط قبائل البربر والتي يتلى فيها القرآن الكريم وتنشر فيها مبادئ الإسلام ما هو إلا البداية وستكون النهاية في المناطق العربية .

ويتوجه بخطابه إلى المسلمين كافة والمغاربة خاصة فيقول : « . . . أيها المسلمون إنكم تستقبلون حربا صليبية لا تعد حروب صلاح الدين في جانبها شيئا مذكورا لأننا زمن صلاح الدين كنا مع الصليبيين وجها لوجه ، أما الآن فرجالنا يكتبون الظهير الشريف في سجلات حكومتنا الإسلامية . . . فالحرب الصليبية هي في داخل القلعة لا في خارجها وأن الحرب الصليبية الماضية كانت بالسيف والترس أما الحرب الصليبية العصرية فإنها بالمدارس والمؤلفات والدسائس والدعايات ، ومحاربتها تكون بإنشاء مدرسة واحدة تكون فيها جميع مزايا أرقى مدارس الدنيا وإسلامية على أتم وجه . . . » (34).

ويحذر المسلمين قائلا : « ويل للمسلمين إن عجزوا عن ذلك أو ادعوا العجز » .

وطالبهم بتأليف الكتب عن سيرة النبي ﷺ بالشكل اللائق بعظمة الرسول ﷺ .

ونظرا لكون هذه السياسة الاستعمارية قد فشلت تمام الفشل لأنها حولت المغرب الأقصى من غرفة نوم إلى خندق جهاد يقول الخطيب : « شكرا للطائشين من رجال الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقية فقد أفادوا المسلمين في عام واحد ما كنا نتمنى أن يكون ولو في عشرين عاما وأنهم حركوا البحر الهادئ بل أيقظوا الأسد النائم فشكرا لهم شكرا . . » (35).

وعندما عادت ذكرى الظهير البربري قال : « إن ذكرى هذا الظهير كادت تكون ذكرى كآبة وأحزان لو أننا بقينا نائمين ، أما وقد استيقظنا فسيكون لنا من ذلك ذكرى بهجة ومسرّات وإن الأحداث تقاس بنتائجها والأمور بخواتمها . . . » (36).

ومن الجدير بالذكر أنه قد خصص في صحيفته أعدادا خاصة(37) للظهير البربري وما يدور في كل ذكرى من ذكراه المشؤومة ، كما فتح صحيفته لكل زعماء الحركة الوطنية المغربية ورجالات الفكر وأصحاب الأقلام التي تهتم بقضايا المسلمين وأحوالهم ولقي في هذا استجابة المخلصين الذين دعموا نضال

الخطيب وأيدوه ضد السياسة الفرنسية في المغرب الأقصى ، وإذا كان الدكتور صلاح العقاد قد أشار في كتابه : (المغرب العربي) إلى اهتمام مصر بذلك وذكر بعض الجماعات مثل : الشبان المسلمين ، (38) وجمعية التوجيه الإسلامي ، ورجال الأزهر ، ومجلة المنار ، فقد نسي بان للخطيب في تلك الجماعات الكلمة الأولى التي ما فتئوا يذكرونها ويعرفون له الدور الكبير الذي لعبه فيها من خلال صحيفته ومقالاته ومحاضراته (فهو من المؤسسين لجمعية الشبان المسلمين) ، وقد لمست ذلك الجهد في صحيفة « الفتح » التي سبقت كل الصحافة المصرية والعربية في تناول موضوع الظهير البربري ، وأعطته كل الاهتمام فأثارت ثائرة المفكرين والمسلمين وحتى المغاربة أنفسهم ، لأنه كان صادقا وكان ملتزما بقضايا المسلمين والعرب مشرقا ومغربا .

وللتوضيح وللتاريخ فإن الظهير البربري لم تكن السلطة الفرنسية تهدف إلى تدريس البربرية كلغة وإحيائها بعد موتها وإنما كان الهدف منه فرنسة أبناء البربر وتنصيرهم وهذا ما عبر عنه الفرنسيون أنفسهم .

ومن هؤلاء « مارتي » أحد كبار دعاة السياسة البربرية الذي قال : « . . . إن المدرسة الفرنسية البربرية هي مدرسة فرنسية بتعليمها وحياتها ، بربرية بتلاميذها وبيئتها » (39).

ويقول « دومنبين » : « إن برامج المدارس البربرية هي نفس البرامج البدوية الأخرى إلا فيما يخص المعلمين فيجب عليهم ألا يستعملوا في أي حال من الأحوال اللغة العربية ولو في أوائل الدراسة ، أما في الحالة التي لا يمكن للمعلم اتباع الطريقة المباشرة بالفرنسية فينبغي له إذا كان يعرف البربرية أن يستعملها لتفهيم التلاميذ » (40).

ويؤكد « فيكتوربيكي » هذه القناعة فيقول : « . . . إن هؤلاء السكان يمكنهم ويجب أن يصبحوا فرنسيين لغة وروحا . . . » (41).

فالهدف أولا وأخيرا من وراء الظهير البربري هو مسخ الشخصية البربرية أولا وسلخ الديانة الإسلامية ومحو اللغة العربية من اللسان والأذهان ولا شيء غير ذلك .

ومن تصديه للهجمة الفرنسية الصليبية على المغرب الأقصى ـ والتي حاول من خلالها المستعمرون الفرنسيون تنصير البربر وكيف أرسلوا الإرساليات التنصيرية ورصدوا لها المبالغ الطائلة ـ مهاجمته جريدة (الأهرام) المصرية ونعتها بأنها أكثر غيرة على الفرنسيين من الفرنسيين أنفسهم وكيف أنها تعمل جهدها على تثبيت أقدام الأجانب هناك متجاهلة صوت الحرية المنطلق من أقصى المغرب خاذلة المنادين

بالحرية وداسة الدسائس لخنق ذلك الصوت بعدم إيصاله لأسماع الناس وإبطال الحقائق الراهنة التي تجسد هياج المغرب وقيام المظاهرات في جميع بلادها ضد القانون الذي سنته السلطة الفرنسية جاعلة فيه عادات الجاهلية والوثنية البربرية تقوم مقام أحكام الدين الإسلامي ، وهذا مقدمة لتنصير البربر .

وكشف الخطيب الغطاء عن جريدة (الأهرام) [42] (فنعتها بالأهرام المارونية ، والأهرام الكاثوليكية) لأنها تجاهلت صوت الحرية والأحرار وكأن ما يجري في المغرب الأقصى لا يهم المصريين المسلمين مشيرا من زاوية النعت بالمارونية إلى موقف الموارنة من فرنسا وتلقيبها بالوطن الأم مادام مؤسساها مارونيين لبنانيين هما سليم وبشارة تقلا .

ويذكر الخطيب انعقاد اجتماع مهم في دار الشبان المسلمين بالقاهرة وتلاوة الرسائل الواردة من مختلف بلدان المغرب الأقصى والتي تصف حقيقة الحال .

وبعد المداولات توجه المجتمعون بنداء إلى السلطة الفرنسية يطالبونها فيه بالوقف الفوري لهذه الأعمال والإبقاء على إسلام البربر واستمرار العمل بأحكام الشريعة الإسلامية وإلغاء (قانون الظهير البربري) وقد قام الخطيب نفسه بتلاوة البيان الختامي الذي وقعه عدد كبير من علماء «الأزهر الشريف» والكتاب ورئيس جمعية النهضة الإسلامية ، على أن يذاع النداء على جميع بلاد العالم الإسلامي مطبوعا باللغات : العربية والأوردية ، والجاوية ، والفارسية مؤكدا استمرار المسلمين على نشر الحقائق إلى أن تعدل فرنسا عن هذا العمل الشرير [43] .

وبلغ من يقظته أنه كان يطالع ما يكتب في داخل البلاد العربية وخارجها عن قضايا العروبة والإسلام ومن ذلك محاولة أصحاب جريدة (الأهرام) التغطية التامة عما يفعله الفرنسيون في المغرب العربي حتى أنه اعتبر الأهرام شر وسيط بين الإسلام وفرنسا[44] بالرغم أنه قد عمل في هذه الجريدة لخمس سنوات قبل ذلك ، فقد وصم أصحاب جريدة الأهرام وموقفهم مما تفعله فرنسا في المغرب بأنه موقف عدائي ضد الأمة الإسلامية والمصرية وينكر عليهم مثل هذا الموقف ، لاسيما وأنهم اتهموا الخطيب في مناصرته لبربر المغرب وقالوا أنها دعوة تهدف إلى إبعاد مصر عن قضاياها الوطنية[45] .

وكان قد قال : « . . . إن البربر مهما كانوا جاهلين فإنهم يعرفون شريعتهم التي يدينون لله بها . . . » [46].

وكشف بان (الأهرام) قد فوجئت باستنكار قرائها وما كانت ترتقب خروجهم عن تأييدها والانصهار فيما تقدمه من أخبار وما تشيعه من أفكار ليست

في مصلحة الوطن ولا في مصلحة الإسلام .

ورغم كل المحاولات الاستنجادية لصحيفة الأهرام بوزير فرنسا المفوض ومكاتبها الفرنسي «المسيو بوشيه» في باريس و«المسيو رينو» (47) الرجل الدبلوماسي على حد قول الخطيب ، فإن جميع المحاولات لتغطية الهجمة الفرنسية ومحاولة جعل البربر ظهيرا لهم قد باءت كلها بالفشل رغم أن المسيو (رينو) قد زعم أن القائمين بحركة التنصير إنما هم عدد قليل من رجال الإدارة الفرنسية المدفوعين بنفوذ أسقف فرنسي في المغرب ، فإن المراقبة الإسلامية في المغرب لأعمال فرنسا أثبتت أن هذا العمل ناشئ عن خطة رسمية للسلطة الفرنسية وأن هناك ألف راهب وراهبة يعملون بنشاط مستفيدين من أعمال الأوقاف الإسلامية وأن مدارس إسلامية كثيرة أقفلت كما منع الفقهاء المسلمون من مباشرة التعليم والإرشاد بالإضافة إلى إبطال المحاكم الشرعية(48) .

وكشف الخطيب كذب وزعم السلطة الفرنسية من أن البربر هم الذين يرفضون حكم الشرع بأن بين أن السلطة الفرنسية سجنت في الرباط وغيرها رؤساء البربر الذين جاؤا محتجين على إبطال الأحكام الشرعية ، الأمر الذي دعا السلطة الفرنسية إلى التراجع وتهدئة الأحوال إذ عادت فأذنت بإكمال بضعة جوامع وفتحت بعض المحاكم الشرعية .

وأعلن أن الفرنسيين عجزوا حتى عن تنصير اللقطاء الذين يتولون تربيتهم .

ورأت «الأهرام» أن برقية (المسيو رينو) على طولها بالرغم من أنه منّ على المسلمين بإنشاء جامع باريس ، لم يستطع أن ينقص من المطالبة بالوقف الفوري لعملية التنصير ونظرا لأن الخطيب سبق له وأن عمل في «الأهرام» فإنه صارح أصحابها وهم الذين قالوا عن عمله : «أقل ما يقال فيه أنه بعيد عن الشرف» .

قائلا : «إني رجل عرفت ديني قبل أن أعرف جريدة «الأهرام» ومن فيها ، فلا أخذل صديقي القديم لأحظى برضى غيره» (49).

وهكذا نجد أن لما كتبه الخطيب فيما يتعلق بالظهير البربري الذي ابتدعه الفرنسيون وخذلوا فيه ، الأثر العظيم الذي أوقف السياسة الفرنسية التنصيرية بعدما كشف حقيقتها ودحض مزاعم متبنيها وآثار حفيظة المسلمين في مصر والعالم الإسلامي الذين هبوا للوقوف في وجه الصليبية الجديدة التي اتخذها الاستعماريون من جديد سياسة لهم وصولا إلى بسط نفوذهم وسيطرتهم ، وهنا يظهر لنا الفرق بين قوة الحق وقوة الباطل وصدق الله العظيم القائل : ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾(50).

وما انهيال الرسائل المنددة بالسياسة الاستعمارية على صحيفة «الفتح»

ونشره لها إلا دليل على الاستجابة الكبيرة لما يكتبه بلسانه الصادق الذي أحرج فرنسا ودعاها إلى تجنب إثارة القلاقل والتحفظ في نشر ما يؤدي إلى تضاعف المواقف العدائية لمجابهة الظلم والعدوان والتآمر على الشعب المغربي ومحاولة مسخ وطنيته وثقافته وأحكام دينه .

ونظرا لما قدمه إلى قرائه في العالمين العربي والإسلامي عبر صحيفة «الفتح» التي هيجت المسلمين في مصر والشام والعراق وإندونيسيا والهند . . . . . ضد السلطات الفرنسية الأمر الذي زعزع وهز وزلزل البنيان الذي أرادت بنيانه على الصرح العربي الإسلامي .

ثم جعله هذه الصحيفة منبرا للعلماء والمفكرين الذين تهمهم قضية المغرب الأقصى الذي تداعت عليه قوى البغي والاستعمار الفرنسي الذي حاول بكل جهده أن يمحو شخصيته العربية الإسلامية .

فقد فشلت هذه السياسة الاستعمارية بفضل صحوة الضمير المغربي المسلم ، وبفضل المجاهد «شكيب أرسلان» الذي كانت له صلات وجهود مع أشقائه المغاربة وزعمائهم الذين كانوا من حواريه والذين لم ينفكوا عن الاتصال به في مكتبه «بجنيف» «سويسرا» فبقوا على إخلاصهم للإسلام أولا والعروبة ثانيا (51).

وصدرت مجلة «المغرب» في باريس وجريدة «عمل الشعب» في فاس بالفرنسية وجريدة «الحياة» ومجلة «السلام» في تطوان بالعربية وهذا كردة فعل مباشر على الظهير البربري .

ثم نشأ أول حزب مغربي باسم «كتلة العمل المغربي» أواخر عام 1934م وهو حركة عربية إسلامية تشبه جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وحركة الدستور التونسي وتنادى المتعلمون الذين درسوا في الجامعات الفرنسية فاتصلوا برفاقهم من أبناء الدول العربية الأخرى وكونوا كتلة قدمت مطالبها للسلطان المغربي ولفرنسا وذلك في أوائل سبتمبر 1934م والتي تتلخص بما يلي :

- تطبيق المعاهدة الفرنسية المغربية نصا وروحا وقيام حكم ملكي دستوري .
- إلحاق المغاربة بالوظائف .
- تحقيق الوحدة القضائية والإدارية ووحدة التراب المغربي .
- الفصل بين السلطات .
- تأسيس مجالس بلدية وإقليمية ومجلس وطني مغربي محض .

وكان أن عقدت الكتلة الوطنية مؤتمرا وطنيا في 25 أكتوبر 1936م في الرباط وآخر في الدار البيضاء وثارت ثائرة المغاربة ونشطت الأحزاب وكثرت

الاعتقالات إلى أن وقعت الحرب العالمية الثانية فـزادت قبضـة السـلطات الفرنسـية على المغرب خلالها ، وكان هذا تمهيدا لقيام الثورة المغربية في مطلع الخمسـينات والتي انتهت باستعادة المغرب سيادته في 20 مارس 1956م .

الجزائر في مرآة الخطيب :

إن قضية الجزائر قد نالت ما يجـب أن تنالـه مـن اهتمامـات الخطيـب وهـو الرجل المسلم أولا والعربي ثانيا ، فقد تناول القضية من جميـع جوانبهـا السياسـية والاقتصادية والثقافية والاستيطانية وتلقف أخبارهـا عـن طريـق الصـحافة الفرنسـية والعالمية بالإضافة إلى ما كان يتلقاه من رسـائل الأصـحاب الجزائـريين[52] الـذين كانوا يراسـلون صـحيفته ويقبلـون علـى قراءتهـا فيجـدون فيهـا مـا يشـفي غليلـهم ويخفف عنهم معاناتهم ويعبر عن صوتهم وطموحهم ، ولعلي أذكر من هؤلاء مـن سمحت لي الظروف بملاقاتهم والتعرف منهم على كـثير مـن جوانـب نضـال هـذا الرجل وأخباره وما منحه من وقته وصحيفته لقضية الجزائر حتـى أنـه كـان يكتـب كل خبر يتلقاه مهما كان صغيرا أو كـبيرا ، الأمـر الـذي جعـل السـلطات الفرنسـية تمنع دخول صحيفته بعد ما تبين لهـا أنـه مناصـر لقضـيتها مـتهجم علـى السياسـة الاستعمارية الاستيطانية فيها .

ويخطرني الآن أن أذكر ما قاله الخطيب في إسلامية وعروبـة الجزائـر لسـانا وواقعا في مقالتين قال في أولاهما : « . . . ثمـان ومائـة سـنة شمسـية مـرت علـى فرنسا وهي تبذل في الجزائر جهود الجبارين من ساسـتها وعلمائهـا وقـادة جنـدها ودهاة عمالها ودناءة أذنابها ما بين أهلها والعالم الإسلامي من أواصر دينية وأدبيـة ، وثّقت الإرادة الإلهية عراها فانقضت الثمان والمائـة مـن السـنين فـإذا الجزائـر اليـوم أكثر يقظة وأوثق صلة بالإسلام والعروبـة وأوطانهمـا ممـا كانـت عليـه يـوم أعلـن النفير العام للحرب العظمى » [53].

ويردف قائلا : (واليقظة الإسلامية آخذة في التفشي والاتسـاع مـن عقـل إلى عقل ومن بيت إلى بيت ، لا يقف في طريقها شيء) .

ولعل الإمام ابن باديس رحمه الله قد جسد هذه الحقيقة في قوله :

شـــعب الجزائـــر مســـلم ... وإلى العروبـــة ينتســـب
مـن قـال حـاد عـن أصـله ... أو قـال مـات فقـد كـذب
أو رام إدماجـــــا لـــــه ... رام المحـال مـن الطلـب [54]

وكما قال في مناسبة أخرى :

أشعب الجزائر روحي الفدا لما فيك من عزة عربية
بنيت على الدين أركانها فكانت سلاما على البشرية[55]

وقال في ثانيهما :

« . . . وكم بذل ناشرو الفرنسية في الجزائر مثلا من جهود جبارة لتعميم لغتهم وقتل اللغة المحلية وتوطين الفرنسيين وإنشاء المدن والقرى والحقول لهم ولأبنائهم ، وها قد مضى عليهم في الجزائر مائة وأربع عشرة سنة وكأنهم لم يصنعوا شيئا لا في اللغة ولا في الدين ولا في الجنسية . . . . » [56] ويستطرد الخطيب قائلا :

« . . . . أما العرب الأولون فقد مروا على الجزائر نفحة من نفحاتهم التي لا نظير لها فما لبثت أن تمت المعجزة فيها وفي جاراتها شرقا وغربا وجنوبا ، فكان الإسلام دين الوطن ، وكانت العربية لغة الوطن ، وكانت العروبة قومية الوطن . . . » [57] وأضاف :

ومن قبل الإسلام حكمت الإمبراطورية الرومانية مصر والشام وشمال إفريقية ، فلم تكن في تلك الأقطار أكثر مما كان الترك في القرنين الماضيين ، أي أنهم كانت لهم حكومة ولغة للحكم إلى أن زالت حكومتهم وزال حكمهم ، وأما لغة الوطن في مصر والشام وشمال إفريقية فلم تكن تركية في القرنين الماضيين كما لم تكن اللغة الرومانية للحكم الروماني لغة البيوت في مصر والشام . . .) [58].

ويتجلى لنا من خلال هذه الأسطر القليلة دفاع الخطيب عن عروبة الجزائر وإسلامها وفشل المحاولات الاستعمارية في نصرنة الجزائر ومحو شخصيتها العربية الإسلامية وهذا قليل من كثير .

ومما يجدر بيانه بخصوص علاقات الخطيب واتصالاته بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورجالات الحركة الوطنية ما ذكرته الدكتورة سهيلة الريماوي[59] من أنها وجدت في مكتبة الخطيب نموذجا لبيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الموجه للأمة بتاريخ 6 شوال 1352هـ الموافق لـ 22 يناير 1934م ورسائل مخطوطة متبادلة مع بعض الإخوان الجزائريين وهم مجموعة كبيرة ، وبلاغ من رئيس الحزب الوطني الجزائري ـ على حد قولها ـ مصالي الحاج إلى الأمة موقع بإمضائه يوم 12 نوفمبر ، ورسالة لعلها الأولى بين الخطيب

والحزب الوطني الجزائري حزب نجم شمال إفريقية مؤرخة في 25 رمضان 1350هـ وفيها يطلب مصالي نشر دعوة الحزب ومرفقة بصورته مع إمضاء رئيس اللجنة التنفيذية للحزب مفدي زكرياء ، ومذكرة لحزب الشعب الجزائري إلى أصحاب الدولة والمعالي والسعادة والعزة أعضاء وفود الدول العربية لدورة جامعة الدول العربية وإلى عزام باشا الأمين العام .

ومما سبق بيانه يستدل على أن للخطيب علاقات حميمة مع زعماء الحركة الوطنية الجزائرية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، الأمر الذي جعله يتصدى للاستعمار الفرنسي بكل حزم مدافعا عن عروبة الجزائر وإسلامها ومتتبعا لأخبارها مواصلا جهاده معبرا عنهم وشادا أزرهم وداعيا إياهم إلى مواصلة جهادهم لأنهم أصحاب حق وقضية وما عبارته للدكتور صالح خرفي ـ رحمه الله ـ عندما سلمه مذكراته إلا دليل على مدى العلاقة الوطيدة حيث قال : « خذ ما تشاء من هذه المذكرات وانشر منها ما تشاء ، ولا تعجب فإنكم تفهمونني هناك أكثر مما يفهمونني هنا » (60).

أحوال عدة هزت قلب ووجدان الخطيب فبادر إلى تحليلها ووقف عليها فكره وقلمه وعلى رأسها أمر الخلافة الإسلامية التي انهارت على أيدي الكماليين فكانت الردة والانسلاخ عن العالم الإسلامي وثانيها قضية فلسطين قلب العروبة النابض وما حل في أرض السلام من تآمر وكيد حيكا في الظلام على يد بلفور وزير خارجية بريطانيا وثعالبة المكر اليهودي الصهيوني .

وثالثهما قضية الجزائر التي من خلالها بسط الاستعمار الفرنسي نفوذه على بلدان المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء وغيرهما ، ورابعها ما عرف بالظهير البربري في المغرب الأقصى الذي كان يهدف إلى نشر النصرانية بين البربر ومن ثم جعلهم سندا وظهيرا للاستعمار الفرنسي ، وخامسها المؤتمر الكاثوليكي الأفخارستي في تونس الذي سبق إلى لجنته الشرفية شيخ الإسلام والمفتي الأكبر فيها واعتبره الخطيب كارثة أكبر من كارثة سقوط الأندلس .

ولم تكن مواقفه نحو هذه القضايا موقف الوصف والتفرج بل كانت مواقف رجل متمسك بدينه ومؤمن بحتمية الانتصار وزوال آثار الاستعمار طال الزمان أو قصر ، وكانت وقفته الشجاعة وتصديه للأحداث ومعالجته للوقائع تنبئ عن إيمان مطلق بالله تعالى ولهذا سهّل الله له وسائل الاتصال برجالات المقاومة وأبطالها وزعماء الحركات التحررية وأصحاب الفكر والقلم حتى باتت صحيفته منارة يتوجه إليها القاصون والدانون فقد وجدوا فيها ضالتهم والمعبر عن أمانيهم

وتطلعاتهم المستقبلية ، ولئن كان الجهاد مطلوبا عند الله من كل مؤمن ، فالخطيب سيد من جاهد وصحيفته ساحة جهاده ، غير أنها ساحة تصل أمواجها إلى كل مكان حتى أننا نجد بطل حرب الريف الأمير عبد الكريم الخطابي يقرؤها وهو في منفاه في جزيرة (رنيون Réunion) وهذا ما أدلى به هو نفسه (61).

والمتتبع للخطيب ومقالاته والجبهات التي يحارب من خلالها قد يعطيه العذر عندما لا يجده يكتب المزيد من المقالات حول موضوع بعينه كقضية تونس أو ليبيا أو الجزائر أو المغرب ، فهو يقتحم جبهة وينفذ منها إلى جبهة أخرى ويجمع حوله من يستطيع من المفكرين والساسة ليكونوا له سندا وعونا فيما يتناوله من قضايا أو يطرحه من أفكار إنه كمكوك الحائك دائب الحركة مستمر الجهاد غير طامع في ملك ولا راغب في ثراء هدفه الدفاع عن الأمتين الإسلامية والعربية والدعوة إلى توحيد الجهود للوقوف أمام المستعمرين ودعاة التغريب والفرعونية والعامية وبث الوعي وشحذ الهمم ورص الصفوف وبناء الأوطان والإصلاح ، وقد حقق الكثير والكثير فباتت قضية فلسطين على كل لسان وأصبح جهاد المغاربة معروفا في كل الأمصار والأقطار العربية والإسلامية كما تهاطلت عليه التبرعات لصندوق فلسطين وتواترت إليه برقيات الاستنكار والتنديد تجاه محاولة فرنسا تنصير البربر عن طريق فكرة (الظهير البربري) من كافة أرجاء العالم الإسلامي ، وكان السباق إلى دعوات الخير وإنشاء المصارف العربية وتأسيس جمعية أمم إسلامية ، وتكوين مجمع اللغة العربية ووضع قاموس لها .

وإذا كان قد اهتم كثيرا بقضية فلسطين فلأنها جوهر الصراع الحضاري والإسلامي وإذا كان للواء اسكندرونة كبير الأثر في نفسه فلأن اللواء جزء لا يتجزأ من وطنه الأم ولأنه يمثل جوهر الصراع بين دولة مرتدة عن الإسلام وشريعته ولغته وبين دولة تتمسك بالإسلام ولغته وشريعته .

وإن وجدناه يهتم كل الاهتمام بما يجري في مصر فلأنه معايش للأحداث وما يجري في تلك الساحة على جميع الأصعدة ، اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وسياسيا .

أما بالنسبة للمغرب العربي البعيد الدار فما يشد الخطيب إليه هو أحداثه الكبرى التي تهدف إلى محو شخصيته العربية الإسلامية وطمس معالم حضارته بالصبغة الفرنسية النصرانية بالإضافة إلى تغريبه على أنه فسح المجال في صحيفته لكتابة ونقل أخباره أولا بأول ولم يبخل على أبنائه بفسح المجال لهم في التعبير عما يخالج نفوسهم ويجلي الحقائق عما يعانونه في بلادهم مع المستعمر

الفرنسي والإسباني والإيطالي .

نعم عاشت قضيّة الجزائر في ضمير الخطيب زمنًا طويلاً ، فقد تصدّى بقلمه لفرنسا وحكمها وتسلّطها ومحاولاتها تنصير الجزائر وشعبها وتصدّيها للكتاتيب التي تعلّم القرآن في كلّ جهة من الجهات ولاسيّما في منطقة البربر ، واتّخذت لذلك أساليب شيطانية منها الادّعاء بأنّ الجزائر هي امتداد لأرض فرنسا ، وأنّ الأصل البربري يعود إلى الجنس الأوروبّي ، وأنّ العرب جاؤوا مستعمرين للمغرب العربي ، وختموها بالظهير البربريّ مطاردة منهم للإسلام من بلد إلى بلد ومن طبقة من المسلمين إلى طبقة أخرى ، راسمين لذلك خططا لا تقلّ شأنا عن الخطط السياسيّة والعسكريّة التي طبّقوها خلال الخمسين سنة التي عايش أحداثها الخطيب ، وسكان البلاد معتمدين على جحافل من صنائعهم الذين يسمّون "مبشّرين" المدعّمين بالتنظيم والاستعداد المالي والثقافي ناهيك عن التأييد والدّعم الإداري والحماية السياسيّة وكأنّهم حكومات داخل حكومات ، وهم في كلّ عام يقدّمون تقاريرهم عن نشاطهم وما حقّقوه من نجاح في سلخ المسلمين عن إسلامهم واستلاب قلوب الشّباب منهم في ثقافتهم وعقولهم ، بما رسموا من مناهج وأساليب تتجدّد وتتنوّع بما تقتضيه المواقف والظروف والبقاع (62).

حتّى أنّ الكّيد الاستعماري الفرنسي قد فاق نظيريه الانجليزي والأمريكي اللّذين مارسا أساليب في منتهى الذكاء والحنكة ترهيبًا وترغيبًا على غرب إفريقيا ووسطها وشرقها ، إذ عزل الفرنسيّون مناطق البربر عن مناطق العرب ونشروا المبشّرين الآباء البيض على أبناء المسلمين البربر لئلاّ يبقى من الإسلام إلاّ عنوانه الّذي يوشك أن يزول هو كذلك لولا لطف الله(63) الّذي تداركها بالعلماء منهم والرّجال الذين لم تخف عليهم خطط إرسالياتهم التبشيريّة الّتي قاوموها فزادوا من الزوايا التي تعلّم القرآن ، وباتت هذه الزوايا متّصلة بالأسر والعائلات ومعروفة بأسمائها ولم تفلح محاولات المستعمرين والمبشّرين من القضاء على هذه الزوايا الّتي بقيت واستمرّت رغم محاولات العملاء ، وبقي الله هو الحافظ الأمين على أرض البربر من الطغيان التبشيريّ الاستعماريّ في أهدافه وكانت الغلبة للحقّ الإسلاميّ والشريعة الإسلاميّة أخيرا .

ويعود الخطيب بقارئي مقالاته إلى أيّام الكاردينال لافيجري الّذي أسّس بمعونة الماريشال ليوتي وأسلافه جيوشا من دعاة التنصير رجالا ونساء في جميع أنحاء شمالي إفريقية حتّى أقيم لهذا الكاردينال الفرنسيّ تمثال جسيم في العاصمة التونسيّة مازال قائما إلى اليوم اعترافا من فرنسا بجهوده المتواصلة لهدم الكيان

الإسلامي في ظل الاستعمار الفرنسي ، وهذا الكاردينال نفسه وقف في أوّل يوليه 1888م في كنيسة (سان سوليبس) بباريس ينكر على الإسلام رحْمته بالرّقيق وتشريعاته الواسعة النّطاق لتضييق دائرة الرقّ في المجتمع الإنسانيّ والنهوض بمستوى الأرقّاء ، فزعم أنّ الإسلام هو المسؤول عن الرقّ واتّفق أن كان من شهود هذه الخطبة المضلّلة (أحمد شفيق باشا) وهو عالم مصريّ فردّ على لافيجري بكتاب (الرقّ في الإسلام) الذي ألّفه بالفرنسية وترجمه إلى العربية (أحمد زكي باشا) (64).

واستمراراً من الكيد الفرنسي للإسلام في كلّ مكان وخاصّة في افريقية الشمالية فأصدر في 16 ماي 1930م (أي عند مرور قرن على احتلال الجزائر) الظهير البربري الذي عزل بموجبه مسلمي البربر عن التشريع الإسلامي في قضايا الأحوال الشخصية وعن التثقيف الإسلامي والمدارس القرآنية ، فوضع لهم مسيو (سوردون) تشريعا قال عنه :

« إنّ الأسلحة الفرنسيّة هي التي فتحت البلاد البربريّة ، فلأصحاب هذه الأسلحة الحقّ في اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في البلاد ، ويجب على حكومة المخزن (أي حكومة سلطان المغرب) أن تكون مستعدّة لإعطائنا الحريّة التّامة في تنظيم البلاد البربريّة كما يطيب لنا ، وبالطريقة التي ترضينا . وإذا كانت العادات العرفية البربرية (أي التي كانت للبربر في زواجهم ومواريثهم قبل إسلامهم لا مناص لها من الاضمحلال أمام شرع مدوّن ، فلماذا لا تضمحلّ أمام شرعنا نحن الفرنسيين ، ألا يمكن أن يتّخذ البربر في يوم من الأيّام نفس الشرائع الفرنسيّة ؟ » .

ولما صدر (الظهير البربري) علّقت عليه جريدة (لوطون) (le temps) في عددها الصادر يوم 27ماي 1930م فقالت : « الآن تخلّصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الإسلاميّة ولقد اتخذت جميع الاحتياطات لحماية المحاكم العرفيّة الجديدة من تأثيرات السلطة الإدارية الوطنية » (65).

الهوامش :

1) محب الدين الخطيب : سوري النشأة ولد في دمشق عام 1886م وتوفي بالقاهرة عام 1969م إلتحق بكلية الآداب والحقوق في اسطنبول عام 1905م أسس بها رفقة الأمير الشهابي جمعية النهضة العربية عام 1907م لاحقته السلطة العثمانية لنشاطه القومي فهرب إلى اليمن ثم عادة إلى سورية بعد الانقلاب العثماني عام 1908م بعدها هاجر إلى مصر عام 1909م . شارك في الثورة العربية الكبرى عام 1916م وحرّر جريدة القبلة الناطقة باسمها ثم تولى رئاسة تحرير جريدة العاصمة في العهد الفيصلي بسورية التي غادرها إلى مصر ، أنشأ في مصر مجلة الزهراء ثم صحيفة « الفتح » 1926 ـ 1948م كان من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين عام 1928م بالقاهرة ، سخّر قلمه وفكره لخدمة القضايا العربية والإسلامية عقب سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924م . « أنظر مذكرات محب الدين الخطيب التي نشرها له الدكتور صالح الخرفي لأول مرة في حلقات عديدة في مجلة الثقافة التي كان يشرف عليها ابتداء من العدد : 6 الصادر في ذي القعدة 1391هـ ، يناير1972 م وما يليه » .

2) لقد وجه الإيطاليون إنذارا إلى حكومة الاتحاديين لكي تصدر أمرا بعدم الاعتراض على جيش الاحتلال في ليبيا فاستجاب الصدر الأعظم آنذاك وهو ـ حقي باشا ـ وسحب الوالي التركي من طرابلس ولم يعين أحدا مكانه ، أنظر : « الطاهر الزاوي ـ جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ـ مصر 1930 م ص 20 ، وانظر أيضا ما كتبه شكيب أرسلان في كتابه : حاضر العالم الإسلامي ـ الترجمة العربية لعجاج نويهض ، طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ 1931 م ج : 2 ص116 وما بعدها ، طرابلس الغرب وإيطاليا « .

3) راجع في ذلك الدكتور محمد ناصرة : المقالة الصحفية الجزائرية ـ نشأتها ـ تطورها وأعلامها 1903 ـ 1931م ـ م : 1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ 1978 م ـ ص 58 .

4) د / صالح الخرفي : صفحات من الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1393هـ / 1973م ص 91 .

5) المؤتمر الأفخارستي 1930م مؤتمر كنائسي عالمي يجمع المسيحيين من مختلف أنحاء العالم ، ويعتبر « لوي برتران » (Louis Bertrand) صاحب هذه الفكرة عقد بقرطاج باعتبارها رقعة مسيحية تغنى بها فيرجيل وزكاها دم ملك فرنسا « القديس لويس « الذي مات فيها وهو على رأس الصليبيين الغازين لها ، وكانت في نظر المجمع أم الكنائس الإفريقية وأنجبت القديس أوغستين (Saint Augustin) وفيها تبلورت تعاليم المسيحية ، ولم يخف منظمو المؤتمر تحديهم الديني فسموا كرنفالهم بالحملة الصليبية الأفخارستية . أحمد خالد ، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل ، الدار التونسية للنشر ، ط3 ، مارس 1985م ، ص 66 ـ 67 .

6) محب الدين الخطيب ، كارثة أكبر من ضياع الأندلس ، الفتح ، العدد : 199 ، 15 مايو 1930 م ، السنة الرابعة ، ص1 و2 . راجع في ذلك : أحمد خالد ، المرجع السابق ، ص 69 .

7) محب الدين الخطيب : تونس والمؤتمر الكاثوليكي ، الفتح ، العدد : 200 ، 23 ذي الحجة 1348هـ ، السنة الرابعة ، ص 13 .

8) محب الدين الخطيب : شباب تونس والمؤتمر الكاثوليكي ، المصدر السابق ، ص 12 .

9) محب الدين الخطيب : « كارثة أكبر من ضياع الأندلس « ، المصدر السابق .

10) لافيجري Lavigerie 1825 ـ 1892م : كاردينال فرنسي جمع بين الدين والاستعمار ، أسس جمعية الآباء والأخوات البيض عام 1886م التي نشطت في المدن والأرياف ، اهتم بشؤون الشرق واحتل منصب رئيس أساقفة الجزائر وكان بوقا من أبواق الاستعمار الفرنسي .

11) محب الدين الخطيب : ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي ، هل تمثل مأساة الأندلس من جديد في شمال إفريقية ؟ . . . ، الفتح ، العدد 219 ـ 10 جمادى الأولى 1349هـ ، السنة الخامسة ، ص 1ـ2 .

12) راجع في ذلك ـ الحبيب بورقيبة : « القضية التونسية وموقف الفرنسيين منها » ، الفتح ، العدد : 644 ، 18 محرم 1358هـ العام 13 ، ص 14 وما يليها ، وانظر كذلك : صريح الاستعمار الفرنسي (حوادث تونس) ، الفتح ، العدد 261 ، ذو القعدة 1367هـ ، ص 2 ـ 3 .

13) محب الدين الخطيب : الحملة الصليبية على الإسلام في شمال إفريقيا ، الفتح ، العدد : 348 ، 14 صفر 1352هـ ، السنة السابعة ، ص 1 وما يليها .

14) الحزب الدستوري التونسي : هو الحزب الحر الدستوري الذي ظهر على المسرح السياسي التونسي عام 1919م كقوة جديدة عناصرها الشباب المثقف مناديا بإعلان الحياة الدستورية كوسيلة للحصول على الاستقلال ترأسه عبد العزيز الثعالبي وانضم إليه فئة من الشباب المثقفين ، أنشؤوا جريدة « العمل » وسرعان ما وقع الخلاف بين القدامى الذين رفضوا حضور مؤتمر قصر هلال عام 1934م والمحدثين الذين انتخبوا الحبيب بورقيبة أمينا عاما للحزب الدستوري الجديد بعد التصدع والانقسام الذي حدث . أحمد خالد ، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل ، المرجع السابق ، ص 52 وما بعدها ، وص 73 .

15) محب الدين الخطيب : إلى إخواننا أحرار طرابلس الغرب ، الفتح ، العدد 630 ـ 09 شوال 1357هـ العام13 ، ص 4 .

16) الآية 126 من سورة آل عمران .

17) محب الدين الخطيب : إلى إخواننا أحرار طرابلس الغرب ، مصدر سابق ، ص 3 .

18) محب الدين الخطيب : طرابلس الغرب كما ننظر نحن إليها وكما تنظر إليها إيطاليا ، الفتح ، العدد : 654 ، 28 ربيع الأول 1358هـ ، العام 14 ، ص 4 .

19) المصدر نفسه ، ص 3 .

20) المصدر نفسه ، ص 4 .

21) محب الدين الخطيب : آمال تبدد بنورها ديار جير اليائس ، الفتح ، العدد : 440 ، 08 محرم 1354هـ ، السنة التاسعة ، ص 2 .

22) المصدر نفسه ، ص 3 .

23) محب الدين الخطيب : إلى إخواننا أحرار طرابلس الغرب ، الفتح ، العدد : 630 ، المصدر السابق ، ص3 .

24) محب الدين الخطيب ، سياسة الإفناء والاستئصال ، الفتح ، العدد : 247 ، 28 ذي القعدة 1349هـ ، العام الخامس ، ص 01 .

25) موسوليني (بنيتو) : Mussolini (Benito) 1883 / 1945م : من رجالات الدولة في إيطاليا أسس الحزب الفاشستي عام 1919م واستولى على الحكم في إيطاليا عام 1922م وتحالف مع هتلر عام 1940م أقصي عن الحكم سنة 1943م فأعاده الألمان ، قتله الشعب بعد الهزيمة في الحرب العالمية الثانية . ـ المنجد في الأعلام واللّغة ، الطبعة السابعة والعشرون ـ دار المشرق ـ ببيروت لبنان ــ 1984 م ، ص 694 .

26) محب الدين الخطيب : حقوق عرب طرابلس ، الفتح ، العدد 548 ، 18 صفر 1356هـ ، العام 11 ، ص 5 .

27) الجنرال ليوتي Lyautey : 1854 ـ 1934م ، جنرال ثم ماريشال ولد في مدينة ثوراي ـ Thorey مارت موزيل عمل بالجنوب الجزائري ثم في الهند الصينية كرئيس أركان للجيش عام 1894م ثم عين حاكما عاما للجمهورية الفرنسية في المغرب الأقصى بعد أحداث فاس ، وعين وزيرا للحرب (1916 ـ 1917م) ، أعيد إلى المغرب الأقصى وعمل على تطبيق فكرة الظهير البربري ، وأقصي في عهد حرب الريف ضد عبد الكريم الخطابي ، فارق الحياة في نانسي Nancy . راجع : المرجع السابق ، ــ Jacques le grand Chronique du 20°é siécle le grand Larousse ـ Aout 1990, paris 6eme ـ France p272 .

28) محب الدين الخطيب : فرنسا في المغرب وشمال إفريقية ، الفتح ، العدد : 602 ، 13 ربيع الأول 1357هـ ، العام 13 ، ص 3 ـ 4 .

29) محب الدين الخطيب : فرنسا في المغرب وشمال إفريقية ، المصدر السابق ، ص 4 .

30) المصدر نفسه ، ص 4 .

31) المصدر نفسه .

32) المصدر نفسه .

33) محب الدين الخطيب : تنازل ملك المغرب الأقصى للحكومة الفرنسية ، الفتح ، العدد : 209 ، 28 صفر

1349هـ ، السنة الخامسة ، ص 1 ـ 2 .
34) محب الدين الخطيب : تنازل ملك المغرب الأقصى للحكومة الفرنسية ، المصدر السابق ، ص 2 .
35) محب الدين الخطيب : يقظة المغرب الأقصى في سنة ، الفتح ، العدد : 250 ، 26 ذي الحجة 1349هـ ، السنة الخامسة ، ص 1 .
36) محب الدين الخطيب : يقظة المغرب الأقصى في سنة ، المصدر السابق ، ص 1 .
37) راجع في ذلك على سبيل المثال أعداد الفتح التالية : 250 بتاريخ 26 ذي الحجة 1349هـ و294 ، 13 محرم 1350هـ ، و344 ، 16 محرم 1352هـ و206 ، 19 ربيع الأول 1357هـ .
38) هناك العديد من المقالات كتبها الخطيب في الفتح ثم كتبها في مجلة الشبان المسلمين نذكر من ذلك على سبيل المثال : رسالة عظيمة الأهمية عن المغرب الأقصى ، صدرت في الفتح ، العدد : 215 ، 10 ربيع الثاني 1349هـ ، ص 4 وما يليها ، وصدرت في مجلة الشبان المسلمين ، ج2 ، 2 جمادى الآخرة 1349هـ / نوفمبر 1930م ، ص 117 .
39) محمد الخطيب العرباوي : أطروحات المدرسة التاريخية الاستعمارية حول شمال إفريقيا ـ المستقبل العربي ـ ، العدد : 195 ، السنة 18 ، مايو 1995م ، ص 101 .
40) محمد الخطيب العرباوي : أطروحات المدرسة التاريخية الاستعمارية حول شمال إفريقيا ، المرجع السابق .
41) Charles Robert Ageron ـ Politiques coloniales au Maghreb ـ collection hier ـ Paris ـ Presses universitaires de France, 1972 . p114 .
42) محب الدين الخطيب : الأهرام جريدة فرنسوية للفرنسويين ، الفتح ، العدد : 215 ، 10 ربيع الثاني 1349هـ ، السنة الخامسة ، ص 1 وما يليها .
43) المصدر نفسه ، ص 3 .
44) محب الدين الخطيب ، الأهرام شر وسيط بين الإسلام وفرنسا ، الفتح ، العدد 218 ، 3 جمادى الأولى 1349هـ ، السنة الخامسة ، ص1 وما يليها .
45) محب الدين الخطيب ، الأهرام شر وسيط بين الإسلام وفرنسا ، المصدر السابق ، ص1 وما يليها .
46) المصدر نفسه .
47) رينو (Reynaud (Paul : سياسي فرنسي ولد في برسولونيت (Barcelonnette) 1878 ـ 1966م اشتغل وزيرا عدة مرات في عهد الجمهورية الثالثة تولى رئاسة المجلس بعد دلاديه (Daladier) في مارس 1940م ، لم يتقبل هزيمة فرنسا فقدم استقالته في 16 جوان ، أوقف في جويلية من نفس السنة ونقل إلى ألمانيا من 1942 إلى 1945م .
ـ Petit Larousse illustré ـ 1986 ـ p 1641 .
48) محب الدين الخطيب : المصدر نفسه ، ص 1 .
49) محب الدين الخطيب ، الأهرام شر وسيط بين الإسلام وفرنسا ، المصدر السابق ، ص 1 .
50) الآية 81 من سورة الإسراء .
51) الدكتور صلاح العقاد ، المغرب العربي ، ص 223 .
52) الشيخ أحمد حماني ، الدكتور الصالح الخرفي ـ رحمهم الله تعالى ـ والشيخ أحمد سحنون . . . هؤلاء من كان لي شرف لقائهم والتحدث معهم حول الخطيب وصحيفته ، أما من كانوا يراسلون الصحيفة ويكتبون فيها فأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : أبو يعلى الزواوي ، أحمد توفيق المدني ، ابن باديس ، محمد البشير الإبراهيمي ، أبو إسحاق الطفيش . . . .
53) محب الدين الخطيب : فرنسا في المغرب وشمال إفريقيا ، الفتح ، العدد : 602 ، 19 ربيع الأول 1357هـ ، العام 13 ، ص 3 .
54) عبد الحميد بن باديس : تحية المولد الكريم ، الشهاب ، يونيو 1937م .
55) عبد الحميد بن باديس : السياسة في نظر العلماء ، الشهاب ، أغسطس 1937م .
56) محب الدين الخطيب : القرآن معجزة بين معجزتين ، لمعالي عبد العزيز فهمي باشا الفضل في كتابة هذه المقالة ، الفتح ، العدد 811 جمادي الأولى 1363هـ ، العام 17 .

57) المصدر نفسه .
58) محب الدين الخطيب : القرآن معجزة بين معجزتين ، المصدر السابق .
59) أنظر كتاب تقدير وعرفان للأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، أوراق محب الدين الخطيب ، المصدر السابق ، ص 123 .
60) من تصريحات الدكتور صالح الخرفي رحمه الله أثناء مقابلة خاصة معه في تونس وانظر كذلك مذكرات محب الدين الخطيب عندما سلمها للدكتور صالح الخرفي رحمه الله لنشرها في مجلة الثقافة ـ الجزائر ـ العدد : 6 ـ ذو القعدة 1391 هـ ـ يناير 1972 م ، ص 86 .
61) أنظر خبر اعتصام القائد الأعظم محمد عبد الكريم الخطابي بمصر . . . الفتح ، العدد 845 ، رجب 1366هـ ، العام 17 ، ص 19 وما بعدها ، وصورة رسالة الأمير إلى الخطيب المرفقة بملحق الرسالة .
62) محب الدّين الخطيب : من الإسلام إلى الإيمان ـ (حقائق تاريخية لمناسبة الصراع مع الاستعمار في الجزائر ـ مجلة الأزهر ـ غزّة ـ المحرّم 1377هـ / 28 يوليو 1957م ـ الجزء : 1 ـ مج : 29 ـ ص2 .
63) محب الدّين الخطيب : من الإسلام إلى الإيمان ـ المصدر السابق ـ ص 3 .
64) المصدر نفسه ، ص 4 .
65) محب الدّين الخطيب : من الإسلام إلى الإيمان ـ المصدر السابق ـ ص 4 .